

مركز تكامل للدراسات والابحاث

دراسات محكمة

النظام الدولي في ظل جائحة الحُمّة التّاجية:
بين إعادة التشكل وتعميق المسار

مليكة الزخيني

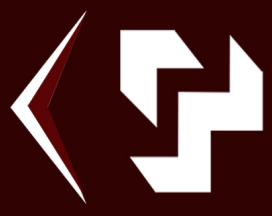
أستاذة القانون الدولي والعلاقات الدولية

جامعة السلطان مولاي سليمان

All rights
reserved

جميع الحقوق
محفوظة

مركز تكامل للدراسات و الأبحاث
TAKAMUL centre for Interdisciplinary Research and Studies



تقديم:

يحيل النظام الدولي على نسق العلاقات السائدة في العالم في مرحلة معينة عادة ما ترتبط بمخرجات حرب كبرى تعيد توزيع القوة على الصعيد الدولي، ويقوم المنتصرون فيها بسن القواعد التي تنظم العلاقات بين الفاعلين على الساحة الدولية وفق منظومة قيمية محددة سلفا. غير أن النظام الدولي الحالي، شذ عن القاعدة وخرج إلى الوجود في أجواء "سلمية"، حيث كان نتاج انتهاء حرب "باردة" امتدت لحوالي نصف قرن، ساهمت في إنضاج ديناميات اجتماعية مختلفة دفعت بانفجار النظام من الداخل، لتتم عملية الإحلال دونما حرب فاصلة، وليرث هذا النظام عن سابقه إحدى أعنى مؤسساته المميزة؛ منظمة الأمم المتحدة، التي حاولت التكيف مع النظام الجديد واقتناص الفرص التي أتاحتها.

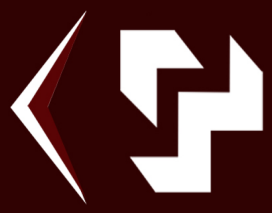
ولئن ارتبطت المنظومة القيمية للنظام الحالي بإعلان مجموعة من النهايات، نهاية التاريخ ونهاية الحدود ونهاية الدولة وصولا إلى نهاية المجتمعات، لتصوغ الخطوط العريضة لهذا النظام ذي التوجه النيوليبرالي، المتمركز على الفرد عوض الدولة، والمنتصر ليد الخفية للسوق وقدرتها على الإجابة على مختلف الأسئلة والأزمات التي يمكن أن تطرأ، فإن الجائحة التي سيعرفها العالم مع ممت عشريته الثانية، قد أعادت إلى الواجهة سؤال الاستقرار والاستمرار بالنسبة لهذا النظام بالنظر لحجم الهلع الذي أثارته، والذي أحدث نوعا من الارتباك في طرق تدبير هذه الأزمة كان عنوانه الأبرز عودة قوية للدولة الوطنية، وصعود نجم النجدة الذاتية self help، والحدود الصلبة التي أعادت تعريف العالم بكونه مجموعة من الدول ذات السيادة وليس قرية صغيرة كما تسلسل إلى المخيال الجماعي. لقد كان العالم أمام تشظي هذه القرية وتحولها إلى جزر معزولة.

أمام تهاوي مجموعة من المسلمات، ولو على مستوى اللحظة وتحت تأثير الفجائية، كان مشروعا أن يخترق المشهد سؤال يبدو بديهيا: هل من شأن الجائحة أن تفضي إلى إعادة توزيع للقوة كفيل بإعادة إنتاج لحظة توحيد ألمانيا قبل ما يربو على ثلاثة عقود؟ بمعنى؛ هل تشكل الجائحة سببا لانبثاق نظام دولي جديد أو إعادة تشكله على نحو مختلف؟

سننطلق من فرضية أن جائحة الحمة التاجية تشكل إحدى أزمات النظام الدولي الحالي التي عبرها يعيد تجديد دمه، لنرى إلى أي حد أنها تعيد نفس الأسئلة التي أثارها تحطم برج التجارة في نيويورك مطلع الألفية الثالثة. غير أن "العدو" هذه المرة لم يقلع من مطارات وإنما يعلو صوت التلميحات بكونه أقلع من مختبرات للأبحاث، بما يجعل الجائحة لحظة للتنفيس الدوري يجدد فيها النظام الحالي آلياته ويثبت هيكله. ويتطلب فحص هذه الفرضية، أول ما يتطلب، فحص الخطوط العريضة للنظام الدولي الراهن وسماته (محور أول)، ثم طريقة تعاطيه مع الجائحة (محور ثان) لأن مقياس استقرار أي نظام وبالتالي استمراره إنما يرتبط بقدرته على أداء وظائفه عبر إيجاد الأجوبة المناسبة للأسئلة المطروحة عليه وفي قلبها الأزمات. وبالمقياس فعدم قدرته على إيجاد هذه الإجابات والاستجابات يزيد من فرص انهيار النظام وتغييره.

المحور الأول: النظام الدولي للألفية الثالثة وإعادة إنتاج أطروحات بُعيد الحرب الباردة

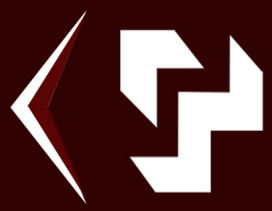
رغم النقاشات المستمرة حول طبيعة النظام الدولي لما بعد الحرب الباردة، من حيث وجوده من عدمه، استقراره أو كونه قيد التشكل، بنيته وقيمه، فإن الثابت أننا أمام نظام - على اعتبار اللانظام في أكثر وجهات النظر تطرفا هو أيضا نوع من أنواع النظام- تحتل فيه الولايات المتحدة الأمريكية المركز. فهي ترتفع فيه بارتياح أو تتعرض فيه لمضايقات؛ لا يغير ذلك من الأمر في شيء طالما أنها لحد الساعة تحتفظ بنفس المكانة ومؤطرة بمنظومة قيمية قوامها الفردانية والانتصار للفرد على حساب غيره من الوحدات، خاصة الدولة التي عرفت وظائفها وأدوارها انحسارا كبيرا في ظل هذا النظام. وهو النظام ذاته الذي رعى حالة الاعتماد المتبادل الكبير التي أصبح عليها العالم والتي جعلت حساسيته للأزمات كبيرة، حيث غدت عصبية على التطويق، إذ بمجرد اندلاعها في مكان ما بالعالم تمس تداعياتها باقي الأنحاء بفعل هذه الحالة من الاعتماد المتبادل.



بين إعادة التشكل وتعميق المسار

وبذلك ارتبط الحديث عن النظام الدولي الحالي بالحديث عن مجموعة من النهايات التي تحيل بدورها إلى حالة إشباع بلغتها مجموعة من المفاهيم، كنهاية الإيديولوجيا ونهاية التاريخ ونهاية الجغرافيا ونهاية المجتمعات... ومع أن هذه النهايات عرفت جدالات واسعة، بل مراجعات كبيرة¹، إلا أننا نزعم أن هناك أطروحتين ارتبطتا بالمحافظين الجدد في تصورهما للعالم يمكن استدعاؤهما لقراءة أزمة الحمة التاجية، أو الجائحة، ونقصد بهما: أطروحة نهاية التاريخ لفرانسيس فوكوياما (أولا)، وأطروحة صدام الحضارات لصمويل هنتغتون (ثانيا). فكيف ذلك؟

¹- أهمها مراجعات فوكوياما لأطروحته نهاية التاريخ، من خلال كتابه "ما بعد نهاية الإنسان" 2002، وفي 2006 بإصدار كتابه "أمريكا في مفترق الطرق"، ثم كتابه حول الهوية 2018.



أولاً: التاريخ السيّار والبحث عن الاعتراف المعدل

منذ صدورها في مقال في مجلة The National Interest سنة 1989، أثارت أطروحة نهاية التاريخ الكثير من الجدل، بل وسوء الفهم أيضاً. ولئن تم تبسيطها في وجهة نظر تعكس أنفاس المركزية الغربية باعتبارها تُسقف التجربة الإنسانية في نموذج الليبرالية الديمقراطية، التي "بإمكانها أن تشكل فعلاً منتهى التطور الإيديولوجي للإنسانية والشكل النهائي لأي حكم إنساني، أي أنها من هذه الزاوية نهاية التاريخ"²، فإن الشق الذي لا يتم تبنيه منها هو تصورهما للإنسان/ الفرد، الذي سيحيا هذه التجربة الممتلئة، وتَمَثُّلها لأهم صفاته باعتباره "الإنسان الأخير"، الباحث عن الاعتراف في ظل المؤسسات الاجتماعية والسياسية التي توفر له شروط نيله، سواء كان اعترافاً عاماً أو اعترافاً متبادلاً.

تتحدد إذن، وفق التصور الفوكويامي، طبيعة دولة القرن الحادي والعشرين والتي تتخذ شكل "الدولة العامة المتجانسة التي ستظهر في نهاية التاريخ باعتبارها قائمة على أساسين: الاقتصاد والاعتراف"³، والتي بتحققها عبر العالم سينشأ نظام دولي بمعايير جديدة حيث ستنتهي "علاقة السيد بالعبد بين الدول... أي نهاية الامبريالية، وسيقل احتمال نشوء الحروب بسبب الامبريالية"⁴، لأن العالم سيكون أمام عولمة نموذج الدولة الموعودة، وبالتالي تنتفي التراتيبات والتمييزات بين الدول.

ولكن، هل يستطيع الإنسان التخلي عن الحرب؟ وهل تستطيع التجربة الإنسانية أن ترتسم وفق منحى جيبي sinusoidal بمنطق الرياضيين، أم أنها محكومة بالاستسلام لمنطق الدورات كما نظر له أفلاطون والنقطة ابن خلدون في وصفه دورة حياة الدول؟

يدعي فوكوياما بهذا الصدد أن الاقتصاد سيكون هو "المحور الرئيسي للتفاعل بين الدول، في حين تتضاءل أهمية القواعد العتيقة لسياسات القوة... سيكون ثمة تنافس كبير في المجال الاقتصادي، ولكنه محدود في المجال العسكري"⁵. لكنه في الآن ذاته لا يجازف بالتعميم، إذ نجد في ثنايا أطروحته تقسيماً جديداً للعالم مرجعه الالتزام بمقومات دولة "نهاية التاريخ" الديمقراطية الليبرالية. وهكذا نعود إلى عالم من فئتين أو معسكرين متميزين، دول ما بعد التاريخ، المتمتعة بشروط الأمن والرفاه، والدول التاريخية التي لم تستطع ملامسة هذا النموذج، وهي غالباً دول منهكة بفعل التوترات الداخلية والصراعات الخارجية لأن "سياسة القوة هي السائدة بين الدول التي لا تأخذ بالديمقراطية الليبرالية"⁶.

يبدو فوكوياما استباقياً، وهو يؤكد أن ما سماه "العالم التاريخي"، سيبقى "فريسة لمختلف الصراعات الدينية والأيديولوجية والقومية على قدر ما قطعت البلاد المختلفة فيه من شوط في سبيل التنمية، وستظل القواعد العتيقة لسياسات القوة قائمة فيه. فبلاد مثل العراق وليبيا ستظل تهاجم جيرانها وتخوض معارك دامية"⁷، في الوقت التي تنعم فيه دول ما بعد التاريخ بالسلم والرفاه تحت ظلال اليد الخفية للسوق القادرة على ملاءمة المصلحة الفردية بالمصلحة الجماعية وتنظيمها وإصلاح اختلالاتها ذاتياً.

لكن هذا الفصل الفوكويامي قد أغفل واحدة من أهم سمات النظام الدولي لما بعد الحرب الباردة وهي حالة الاعتماد المتبادل غير المسبوقة، التي يتعذر معها الفصل بين العوالم وتثبيت المشاكل والأزمات وفق معطى جغرافي معين. ولذا، لا يمكن

² فوكوياما فرانسيس، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ط 1، 1993، ص 8.

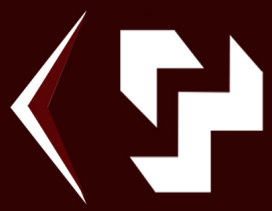
³ المرجع نفسه، ص 184.

⁴ المرجع نفسه، ص 217.

⁵ المرجع نفسه، ص 242.

⁶ المرجع نفسه، ص 292.

⁷ المرجع نفسه.



تصور عالم الألفية الثالثة بمشاكل محكومة بالحدود التي كانت أول ضحايا النظام الدولي الحالي بما أصابها من هشاشة وزاد من نفاذيتها وهي تلتقط أنفاس العولة بما تنسحب عليه من تعبير عن "وضع تزال فيه الحدود والقيود الجغرافية والسياسية والثقافية أمام الانتقال الحر للسلع والخدمات والمعلومات وحتى القيم والعادات، إذ أن ما يحدث في الغرب يسمع صده، وفي ذات اللحظة، في الشرق، والعكس صحيح"⁸.

غير أن عقدا من الزمن كان كافيا لفوكوياما ليراجع أطروحته ويعلن أن "التاريخ لا يمكن أن تكون له نهاية إلا إذا كانت للعلم نهاية"⁹، وأن الديمقراطية الليبرالية قد فقدت الكثير من الوهج، وأن بحث الإنسان عن الاعتراف به كفرد، لم يلغ مطالب الاعتراف الجماعية في إطار مطالب الاعتراف المبنية على الهويات، والتي تغذيها مشاعر الاستياء عند مجموعات تتشكل هوياتها بناء على المشترك الذي يجعل منها كيانات متفردة. ولعل الصعود القوي للتيارات التي أُلصقت بها صفة الشعبوية في مختلف بقاع العالم، ابتداء من القوة المهيمنة العالمية إلى سائر الجغرافيا الدولية، والتي بنت خطابها على مضامين هوياتية ضيقة من خلال خطاب كراهية اتجاه الأجانب وسياسات انعزالية من قبيل "أمريكا أولا"، قد شكل "انتكاسة" حقيقية للديمقراطية الليبرالية ومشروع المواطن العالمي المبشر به لعقود.

ثانيا: في استدعاء أطروحة صدام الحضارات

لعل من أهم ما واكب الجائحة هي الاتهامات المتبادلة بشأن المسؤولية عن انتشار الحمة وتصويب السهام بشكل صريح أو ضمني للصين، بما يتيح تحريك مسؤوليتها الدولية عن الضرر الذي تسببت فيه عالميا. وبذكر الصين، نذكر واحدة من الحضارات التي رشحها هنتغتون لأن تكون خصما وعدوا للحضارة الغربية، انطلاقا من افتراضه أن الحروب القادمة لن تكون بين الدول ولكن بين الحضارات، حيث أن "البعد الرئيسي والأكثر خطورة في السياسة الكونية الناشئة، سوف يكون الصدام بين جماعات من حضارات مختلفة"¹⁰.

لقد رسم هنتغتون بذلك صورة الصراع العالمي لما بعد الحرب الباردة كصراع بين الحضارات أورثه الصراع الإيديولوجي الذي غلف العلاقات الدولية على امتداد حوالي نصف قرن من الحرب الباردة. كما اعتبر مناطق التماس الحضاري - أو ما أسماها "خطوط التقسيم الحضاري" - المناطق الأكثر توترا، ما دامت تفصل بين جماعات توحدتها علاقات القربى الثقافية المستندة على عوامل تضمن لحمتها كالدين واللغة والعادات والقيم والمؤسسات الاجتماعية وكل ما شكل تاريخها في سيرورتها. وأسس لمشارك تبلور، عبر عصور، لدى أفراد هذه الحضارة، وخلق تميزها إزاء الجماعات الأخرى التي تتموقع خارج خطوط تقسيم هنتغتون. وهذا التمايز يصل حد الصدام بين حضارات بعينها، حيث يرى الرجل أن "مزاعم الغرب في العالمية تضعه بشكل متزايد في صراع مع الحضارات الأخرى وأخطرها مع الإسلام والصين"¹¹.

وبالفعل تشكل الصين إحدى القوى المرشحة لحلحلة نظام القوة المهيمنة الذي يعيش تحت ظلاله العالم منذ سقوط الاتحاد السوفياتي. وتشكل فكرة نهوض صيني أحد مؤشرات دوائر القرار الأمريكية. وبهذا الصدد يجيب ميرشايمر¹² عن تساؤل: "هل يمكن للصين أن تمهض بسلامية؟" بالنفي، لأن الولايات المتحدة الأمريكية لن تسمح بتمدد النفوذ الصيني إلى المناطق التي

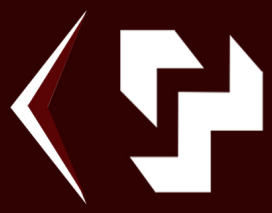
⁸ - رضا عبد السلام، انهيار العولة! هل حقا يعيد التاريخ نفسه وتتهار العولة المعاصرة كما انهارت في موجتها الأولى بالكساد العظيم؟ الدار الجامعية، الإسكندرية 2003، ص 17.

⁹ - فوكوياما فرانسيس، نهاية الإنسان وعواقب الثورة البيوتكنولوجية، ترجمة أحمد مستجير، ط1، إصدارات سطور، القاهرة، 2002، ص 18.

¹⁰ - هنتغتون صمويل، صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، ط 2، سطور للتوزيع والنشر، القاهرة، 1999، ص 29.

¹¹ - المرجع السابق، ص 37.

¹² - محاضرة مسجلة على الرابط: <https://www.youtube.com/watch?v=Dk-34WkUJ5w>



تصلها، وفاء للقاعدة الأمنية: "لا يجب أن تسمح لمنافسك بإظهار نفسه"، ليكون مطمح النهوض الصيني رديفاً لاندلاع مواجهة عسكرية بين الجانبين بكل ما تحمله من مخاطر.

ويمثل الانتعاش الاقتصادي الصيني أحد العوامل المؤثرة لأمريكا لأنه مدخل لقلب موازين القوى القائمة، ويشكل تهديداً حقيقياً للحضارة العالمية المنشودة. فمن جهة، تبدي الصين اهتماماً ضئيلاً بالديمقراطية، لكن "على الرغم من النظام الاستبدادي في الصين، فهي أيضاً دولة مؤسسية يتميز نظامها بالضوابط والتوازنات"¹³. ومن جهة ثانية، فهي تبني الرأسمالية رغم أن ذلك "أمر غير مقنع حتى هذه اللحظة"¹⁴، مادامت مقيدة بالخصوصية الصينية.

والصين اليوم مؤثر كبير في معادلات السياسة الدولية من خلال قوتها الاستثمارية، إذ "كانت الاستثمارات الأجنبية المباشرة نحو الخارج من الصين صفراً بالفعل في الثمانينيات من القرن العشرين، إلا أنها وصلت إلى 74 مليار دولار أمريكي عام 2011 ما وضع الصين في مركز أكبر مستثمر في مجموعة بريكس"¹⁵. وتقدر استثماراتها في إفريقيا سنة 2014 بما يناهز 40 مليار دولار¹⁶، أما على المستوى التجاري، فتأثير الصين على دينامية التجارة العالمية مما لا يختلف عليه اثنان.

وعلى المستوى القيمي، تؤكد التجربة الصينية تفرداً حيث أن "الروح الكونفوشية المتغلغلة في المجتمعات الآسيوية تؤكد على قيم السلطة، والتسلسل الهرمي وتابعية الحقوق والمصالح الفردية، وأهمية الإجماع، وتحاشي المواجهة و"حفظ ماء الوجه"، وبشكل عام: سيادة الدولة على المجتمع، والمجتمع على الفرد أي أنه يقدم صورة مغايرة. وقد أصبح أكثر جاذبية، للنموذج الغربي الممجد للفرد والمصلحة الذاتية¹⁷. ويتعزز هذا الطرح عندما نأخذ في عين الاعتبار "أن الآسيويين يميلون إلى التفكير في تطوير مجتمعاتهم بالقرون وبألوف السنين، ويعطون أولوية لتعظيم المكاسب بعيدة المدى. هذه التوجهات تتعارض مع سيادة الحرية والمساواة والديمقراطية والفردانية في المعتقدات الأمريكية"¹⁸. وهي بذلك تمثل كابحاً للعولمة في مفهومها المتماهي مع "الأمركة"، وبالتالي عنصر قلق ومصدر تهديد لاستقرار النظام الدولي القائم لأن "افتراض أن ثقافات العالم سوف تتمثلها وتستوعبها ثقافات الغرب هو وهم ناشئ عن قصر نظر ومحورية عرقية. ذلك أن الفوارق المجتمعية كبيرة جداً بحيث إن النزاعات الدولية مستقبلاً ستكون أقرب إلى نزاعات ثقافية المنشأ منها إلى نزاعات اقتصادية أو سياسية مثلما كانت في الماضي"¹⁹، لأنه يجب ألا ننسى أن مفهوم الأمن لم يعد مقتصرًا على الأمن العسكري أو السياسي أو الاقتصادي، بل غداً مفهوم الأمن المجتمعي أكثر محوراً.

ويحيل مفهوم الأمن المجتمعي -الذي يعتبر من بين أهم ما جاءت به مدرسة كوبنهاجن للدراسات الأمنية- على "قدرة المجتمعات على إعادة إنتاج نماذجها التقليدية المتعلقة باللغة والثقافة والتجمع والهوية الدينية والوطنية والتقاليد في ظل شروط مقبولة للتطور"²⁰. وهذا من شأنه أن يوجج بالفعل الالتهابات بين المجموعات الحضارية المختلفة عندما تحاول إحداها أن تسود،

¹³- وي وي تشانغ، الزلزال الصيني: نهضة دولة متحضرة، ترجمة: محمود مكاوي وماجد شبانة، مراجعة: أحمد السعيد، سما للنشر والتوزيع، 2016، ص 233.

¹⁴- نيسبت ريتشارد إي، جغرافية الفكر: كيف يفكر الغربيون والآسيويون على نحو مختلف...ولماذا؟ ترجمة: شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 312، 2005، ص 202.

¹⁵- تاندون ياش، التجارة حرب: حرب الغرب ضد العالم، ترجمة: عبد الجليل محمد مصطفى، العبيكان، الرياض، ط: 1، 2016، ص: 9.

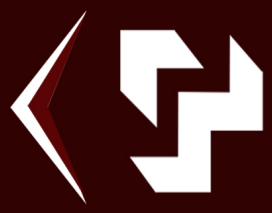
¹⁶- المرجع نفسه، ص: 9.

¹⁷- هنتغتون، ص: 364.

¹⁸- المرجع نفسه، ص: 364.

¹⁹- نيسبت ريتشارد إي، جغرافية الفكر: كيف يفكر الغربيون والآسيويون على نحو مختلف...ولماذا؟، ترجمة: شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 312، 2005، ص 200-199.

²⁰-BUZAN Barry, «New Patterns of Global Security in the Twenty-First Century», International Affairs, Vol : 67, N° : 3, Juillet 1991.(pp. 431-451), p :433.



أو تنمط المجموعات الأخرى على شاكلتها، أي عندما تحاول أن تكون المركز وما عداها هوامش تدور في فلكه. في ظل هذه الوضعية سيكون الأمن المجتمعي، حسب BUZAN "مرشحا لأن يصبح القضية الأهم بين المركز والهوامش، وداخل كل منهما، أكثر مما كان عليه الأمر في الحرب الباردة"²¹.

المحور الثاني: مفارقات تدير الجائحة وتداعياتها

بناء على ما سبق، يحق التساؤل حول كيفية تدير دولة نهاية التاريخ للجائحة وكيفية تمثيل الإنسان الأخير لها، وكيف تدخلت خطوط التقسيم الحضاري في هذا التدير؟ وهل استطاع الإطار المؤسسي الذي يستند عليه النظام الدولي الحالي، وفي قلبه منظمة الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة، مواجهة اللحظة بما يعكس قيم النظام؟

إن إقرار الأمين العام للأمم المتحدة بكون الجائحة "أزمة صحية عالمية لم يسبق لها مثيل طوال خمسة وسبعين عاما هي عمر الأمم المتحدة - أزمة تشيع المعاناة الإنسانية وتصيب الاقتصاد العالمي في مقتل وتقلب حياة البشر رأساً على عقب"²²، يعني أن العالم أمام تهديد للأمن الدولي غير ذي طبيعة عسكرية، مادام يستهدف، حسب تعبير الأمين العام، حياة البشر ونمط عيشهم. غير أن المثير للاهتمام -عندما نرصد خطاب أمانة الجائحة- هو كون هذه الأمانة استعاضت عن المستوى الدولي بالمستويات الوطنية (أولاً). كما أن التعاطي مع الأشهر الأولى منها يوجي بتحويلات في النظام الدولي لا ترقى لأن تكون جذرية بقدر ما هي إعادة تثبيت لقواعد النظام القائم (ثانياً).

أولاً: مخرجات أمانة الجائحة

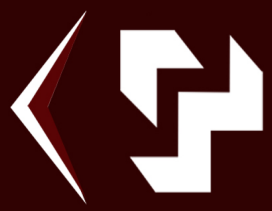
تدين الدولة للحمة التاجية بكونها أعادتها إلى دائرة الضوء، كما أحييت آمال القوى المناهضة للعولمة وللمنظومة النيوليبرالية في إمكانية العودة إلى إحياء الدولة التدخلية والعقيدة الكينزية التي وأدها طوفان الليبرالية الجديدة والتصور الفريدماني للدولة. وبقدر ما طرحت الحمة التاجية إشكالات الأمن الصحي وتدير الأزمات العابرة للحدود على النظام الدولي، طرحت أسئلة على الأسس التي قام عليه هذا النظام. ولعل أهم هذه الأسس التي وضعت في قفص الاتهام هو برادغيم التعاون الدولي والاعتماد المتبادل باعتبارهما الأساس الذي اعتبر صمام أمان للسلم الدولي ومدخلا لتحقيق الأمن الدولي. فهل يمكن القول بتهاوي هذا الأساس أمام العودة القوية للمفاهيم الصلبة المرتبطة بالدولة الوطنية Etat nation من قبيل الحدود والسيادة والإقليم والجنسية والمواطنة...؟

لقد كشفت الجائحة كيف أصبح الفرد مرتبطاً بجنسيته وتوارى المواطن العالمي لصالح المواطن المرتبط بدولته، وكيف طفا على السطح مفهوم الأجنبي وتولد خطاب الكراهية اتجاهه، وكيف تحول الفرد الباحث عن الاعتراف في ظل فضائل الديمقراطية الليبرالية إلى مستسلم لتعليق حقوقه وحرياته بمقتضى الجائحة، وكيف تم إطلاق العنان، في حركة مرتدة، لاستبداد الدولة وغطرستها خاصة في مجال الحريات وحقوق الإنسان الذي يُرصد بلا موارد عبر مخرجات تحاللات الطوارئ المعلنة على امتداد العالم بشكل لا يقل قوة ولا عنفا عن مخرجات قوانين الإرهاب التي عرفها العالم في العقدين الأخيرين، مما يعتبر انتكاسة للديمقراطية الليبرالية التي بشر بها النظام الدولي الراهن، وعودة لدولة ما قبل نهاية التاريخ الفوكويامية.

ويزيد الأمر استشكالا عندما يقترن بسؤال النجاعة في محاصرة انتشار الحمة التاجية ويحضر نموذج الدولة الشمولية متمثلا في الحالة الصينية أو الكورية الشمالية كنموذجين لتدير الجائحة، لأنه يفتح دائرة توتر جديد أمريكية صينية محورها قيم النظم السياسية المعتمدة. فقد بدا النموذج الصيني أكثر انسجاما في تديره للأزمة، إذ وظف آليات النظام وأدواته المعروفة؛ رقابة شاملة وتخطيط مركزي، فيما استنجدت النظم الغربية الديمقراطية بآليات اعتبرتها من الماضي، ووقفت محتارة بين ترتيب أولوياتها الأمنية، وهي تحصي ضحايا حربها مع الجائحة، في حدودها الوطنية رغم أن الحرب كانت "عالمية" حيث يقر الأمين العام للأمم المتحدة، بصيغة الجمع،

²¹ - Ibid, p :447.

²² - <https://www.un.org/ar/authors/antonio-guterres-ar>



أنا "في حالة حرب مع الفيروس ولا نفوز به. لقد استغرق العالم ثلاثة أشهر للوصول إلى 100 ألف حالة إصابة مؤكدة"²³. غير أن تكيف الجائحة بوصفها حرباً يعتبر مقدمة للقفز على مفاهيم استقرت في حقل العلاقات الدولية وأهمها مفهوم الحرب ذاته، الذي اهتز أصلاً مع سك مفهوم "الحرب على الإرهاب" مطلع القرن الحالي.

لقد خرجت الحرب على الإرهاب - كإطار حكم العلاقات الدولية ووجهها لعقدين من الزمان- من رحم حادث اصطدام طائرتين ببرجي التجارة في نيويورك، أي بحادثة محددة في الزمان والمكان لكن ملابساتها كانت من التعقيد بما جعل آثارها تتعالى على مفهومي الزمان والمكان. وتفرض على العالم تحقياً جديداً، ما قبل 11 سبتمبر 2001 وما بعد هذا التاريخ، مادام الحدث قد ولد استقطاباً دولياً جديداً بين تحالف الحرب على الإرهاب ومحاور الشر الداعمة لهذا الإرهاب الذي لم يتم تحديده مفهومه لكن من المؤكد أنه يُبط بدين بعينه، هو نفسه الذي أكد هنتغتون أنه يؤطر الحضارة المرشحة للاصطدام بالحضارة الغربية، أي الإسلام، كما أنه ارتبط بضبابية المنطلقات التي بني عليها والفرضيات التي استند عليها.

ينبع استحضار هذه الحرب من تشابه اللحظتين أو "الحربين"، فهل سيفرض على العالم مرة أخرى تحقيق جديد، أي ما قبل الحمة التاجية وما بعدها؟ وهل ستستعاد أنفاس اللائقين وضبابية المنطلقات والفرضيات لتوجيه السهام إلى الحضارة الثانية التي اعتبر هنتغتون أنها ستصطدم بالحضارة الغربية مع احترام الفوارق بين تجربة 2001 و2020، خاصة إذا استحضرننا، من جهة، أن "نظرية الصدام تحركها عقدة التفوق الغربي والرغبة العارمة في تكريسه ومن ثم الحذر الشديد إزاء كل ما يهدده والاندفاع إلى التحذير منه"²⁴، ومن جهة أخرى، انجراف العديد من التحليلات إلى إعادة إثارة إمكانية أن "يكون الشرق الآسيوي هو محور حركة القوة في العلاقات الدولية"²⁵، وأن يكون القرن الحالي قرناً صينياً؟

تعطينا التجربة التاريخية دروساً أهمها أن "القوة النسبية للدول الكبرى ونفوذها في الشؤون العالمية لا يمكن أن يتسم بالثبات إلى الأبد"²⁶، لأسباب متعددة يتداخل فيها العسكري بالاقتصادي بالسياسي على النحو الذي يوضحه بول كندي قائلاً: "تم دراسة الصراع العسكري دائماً في سياق "التغيرات الاقتصادية". فانتصار أي من القوى الكبرى في هذه الحقبة أو انهيار قوة أخرى يعد نتيجة لقتالها الطويل مستخدمة قواتها المسلحة، إلا أنه يعد كذلك نتيجة للاستخدام الفعال لموارد الدولة الاقتصادية الإنتاجية في أوقات الحرب، هذا بالإضافة إلى أسلوب انتعاش اقتصاديات الدولة أو كسادها مقارنة بدول كبرى أخرى في العقود التي تسبق الصراع الفعلي. لهذا فإن كيفية تحول وضع أي من القوى الكبرى بصورة مطردة في زمن السلام يعد أمراً هاماً بقدر أهمية أسلوبها القتالي في زمن الحرب"²⁷.

ولعل "الحرب" الاقتصادية التي تشهها الولايات المتحدة الأمريكية منذ شهور متعددة ضد الصين تعبر، إلى حد بعيد، عن مدى التوجس من الصعود "السلمي" للصين التي تبصم على حضور قوي في شتى المجالات وفي جغرافيا ممتدة، وهو ما لا يمكن للعقيدة الأمريكية القبول به بأي حال من الأحوال. وتعزز ذلك بشكل كبير مع أزمة الحمة التاجية التي كشفت عن استقطاب

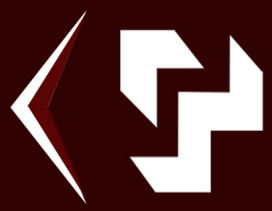
²³-<https://www.un.org/ar/authors/antonio-guterres-ar>

²⁴- صلاح سالم، الإسلام والغرب: بين عقدة الحضارة.. ونزاعات الهيمنة، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط: 1، 2004، ص: 18.

²⁵- علوي مصطفى، "القرن الآسيوي؟ مستقبل هيكل القوة في النظام الدولي في القرن 21"، السياسة الدولية، عدد 200، أبريل 2015، ص 8.

²⁶- كندي بول، القوى العظمى، التغيرات الاقتصادية والصراع العسكري من 1500 إلى 2000، ترجمة عبد الوهاب علوب، ط1، دار سعاد الصباح، الصفاة، الكويت، القاهرة، مصر، 1993، ص 8.

²⁷- المرجع السابق، ص 7-8.



صيني أمريكي تم فيه توظيف الإمكانيات العلمية والتكنولوجية ومنظمة الصحة العالمية وانتعاش ما يمكن تسميته "ديبلوماسية الأزمات"²⁸.

وفي خضم هذا التدافع سيطفو على السطح أحد عناصر القوة بالنسبة للدول وهي مساحة الفعل في العالم الرقمي والقدرة على تملك أدواته، لأن من بين أهم مخرجات الجائحة كان هذا "التحول الرقمي القسري" الذي فُرض على العالم مع تبني العديد من الدول لإجراءات الحجر الصحي وتحوُّل مجريات الحياة فيها إلى مجريات "عن بعد". ويتلخص في هذا "ال"عن بعد" الدخول إلى حقبة جديدة من تاريخ البشرية هي حقبة الإمبراطورية الرقمية المستبدة بطبيعتها، ما دام الدخول إليها والتمتع بمتاحها يقتضي أن تكون من "مواطني" مدونة المعطيات الشاملة big data، التي ليست إلا "نظام رقابة شامل لا أحد يستطيع الإفلات منه"²⁹. وبالتالي ندعي أن "الحرب الرقمية" ستشكل أحد ملامح النظام الدولي المتجدد.

ثانياً: نظام دولي بقيم متجددة

حملت الأزمات، على مر التاريخ، مخاطر وفرصاً، وساهمت في تفكيك بني وإنشاء أخرى جديدة وإن بدرجات متفاوتة، تسائل فيما فتعدّل بعضها وتنسّف أخرى، تكرر بعضها وتخلخل أخرى. ولذلك من المشروع الانضمام إلى مَجْمَع المتسائلين، منذ دخول الحمة التاجية الخطاب والمعاش اليومي للدول والمجتمعات، حول التحولات المرتقب إحداثها في النظام الدولي بفعل الجائحة.

من المؤكّد أن الإجابة على هذا السؤال تستدعي حيزاً زمنياً تتجمع خلاله المعطيات الكفيلة بمدنا بعناصر للإجابة. لكن الأمر لا يتعلق بسؤال بسيط بقدر ما يتعلق بإشكالية تثار كلما طفت على السطح أزمة من أزمات النظام الدولي الحالي، وجوهرها استمرارية القيادة الأمريكية للعالم أو تنحيتها لصالح قوة أو قوى أخرى جديدة. فقد حضر السؤال في أعمال الكثير من المفكرين، كما طرح ذات السؤال مع كل الأزمات التي عرفها النظام الدولي على امتداد العقود الثلاث الماضية. لكن النظام أثبت قدرته على التكيف وإنتاج استجابات ذاتية مهما بلغ صخب التفاعلات، لأن "أي إجماع على مشروعية جملة ترتيبات معتمدة لا يحول -الآن أو في الماضي- دون حصول المنافسات والمجاهات، إلا أنه يساعد على ضمان حصولها بوصفها تعديلات وألوان تكيّف داخل النظام القائم بدلاً من أن تشكل تحديات أساسية لهذا النظام"³⁰.

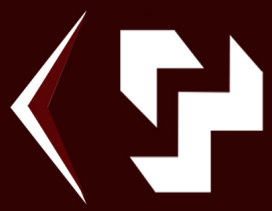
ويأتي في قلب التكييفات تلك المعادلة العسيرة بين الاقتصادي والأمني والتي رعاها النظام الحالي بكل ما أوتي من قوة، حيث عزز مطالب الرفاه لدول المركز في النظام وبشر بالحوار ذاته لدول الهامش التي لازالت تكذب لتجاوز إشكالاتها التنموية. ولا يبدو أن مجهودات الهامش تبشر بقرب انعاقه من مختلف التهديدات التي يعاني منها، لأن اقتصاد اليوم يوسم بكونه اقتصاداً رأسمالياً معلومالياً قائماً على تعايش نوعين من الاقتصاد؛ "اقتصاد إنتاجي يقوم على إنتاج السلع والخدمات، واقتصاد آخر طفيلي امتصاصي يقوم على المالية والمعلوماتية يتميز بصفتين، إحداها أنه قائم على المضاربة والثانية أنه غير منتج، ولكنه رغم ذلك قادر على امتصاص وانتزاع ما يحققه العالم المنتج من الثروة. أما الركيزة التي يعتمد عليها هذا الاقتصاد القائم على عدم الإنتاجية وانتزاع ثروات الآخرين فهي "العولمة"³¹: إنها ثنائية المركز والهامش التي حلت محل ثنائية الشرق والغرب، والتي يتم تكريسها مع كل أزمة من أزمات هذا النظام، حيث تتعمق خسارات الهامش رغم أنها لا تنال إلا "ارتدادات" لهذه الأزمات بفعل بعدها عن المركز.

²⁸- من خلال حضور المساعدات الطبية الصينية للعديد من البلدان عبر العالم.

²⁹- دوغان مارك ولايبي كريستوف، الإنسان العاري: الديكتاتورية الخفية للرقمية، ترجمة سعيد بنكراد، ط1، المركز النقابي للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، لبنان، 2020، ص13.

³⁰- كيسنجر هينري، النظام العالمي: تأملات حول طلائع الأمم ومسار التاريخ، ترجمة: فاضل جتكر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2015، ص18.

³¹- زلوم يحيى عبد العي، نذر العولمة، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1999، ص19.



ولئن شكلت واقعة هجمات 11 ستمبر، فرصة سانحة للولايات المتحدة الأمريكية، بأن عمدت الأخيرة إلى محاولة "إعادة تشكيل منطقة الشرق الأوسط عبر استخدام قوة ساحقة. وكان ذلك بمنزلة منجم ذهب للشركات العسكرية الخاصة"³²، فإننا كنا أمام خوصصة الحرب وازدهار المقاولات "العنيفة"، سواء في إطار الاقتصاد المهيكل عبر شركات الأمن الخاصة أو الشركات العسكرية الخاصة، أو غير المهيكل عبر القوى المقاتلة تحت مسميات مختلفة كداعش والنصرة وغيرهما، بما أنتج سوقا للعنف عنوانها "صعود قوي وسريع جدا للشركات التجارية التي تشتغل في مجالات تسيير الحروب أو الأمن"³³. فكانت حصيلة الأزمة أرباحا وافدة على المركز مقابل خسارات على مستوى الهوامش؛ إنها الأزمات التي تتحول إلى فرص لتثبيت أقدام النظام.

ومع الأزمة المالية لسنة 2008، أثبت النظام الدولي مرونته من خلال استنجاده بمفاهيم قام على وأدها، وفي صلبها "الدولة التدخلية"، إذ تبنت معظم الدول وفي طليعتها الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا "خطط الإنعاش plan de relance وعمليات إنقاذ البنوك الكبرى أو تأميمها وإجراءات دعم الاستهلاك والدعم العمومي للصناعات الاستراتيجية ومشاريع إصلاح النظام المالي العالمي في اتجاه تنظيم أقوى"³⁴، وهو ما لم يسمح لدول آسيا بمباشرة خلال أزمة النور الآسيوية نهاية القرن الماضي.

ويتكرر الأمر ذاته مع جائحة الحمة التاجية، حيث يتم استدعاء "الدولة الوطنية" ويناط بها تدبير "الأزمة العالمية" وترسم لوحة العالم في ظلال الأزمة حيث الأرض تنفس هواء أنظف، والاقتصاد يعاني شللا مروعا، والحقوق والحريات على المحك. لقد وضعت المجتمعات في أسر كبير تحت ظلال الخوف -مما يجعل قبولها بالحلول القصوى ممكنا- فاستعاضت عن الحضور الفيزيائي بالحضور الافتراضي: لقد كان التحول مزدوجا، تحول المواطن العالمي إلى مواطن فعلي مرتبط بدولته؛ يتم تعريفه بناء على الجنسية التي يحملها، ثم تحول هذا المواطن ذاته إلى "مواطن رقمي" يتم تعريفه بناء على لوغاريتمات تعيد له هويته العالمية في كنف الإمبراطورية الرقمية حيث "تقادم الديمقراطية في تصور البيغ داتا، كما تقادم قيمها الكونية، وتقادم مفهوم المواطن الذي اخترعه اليونانيون"³⁵. فهل يتعلق الأمر بخطوة إلى الوراء للقفز خطوتين إلى الأمام؟

ولا يبدو أن مسار الرقمية في وضعه اليوم قابل للارتداد إلى الوراء، كما أنه لا يبدو منفصلا عن سيرورة التحول التي يعيش على إيقاعها العالم منذ الجيل الأول للإنترنت، وصولا إلى التسابق المحموم للريادة بالنسبة للجيل الخامس. ومن جهة ثانية، يمكن اعتبار هذا المسار مرحلة جديدة في إعادة صياغة إحدى المؤسسات الاجتماعية الأكثر إزعاجا وهي الدولة؛ حيث "أصبحت في تصور أغلب مقاولي وادي السيليكون Silicon Valey في شكلها الحالي عائقا يجب القضاء عليه"³⁶. ويشير هذا الوادي إلى "الصناعات المتطورة المتمركزة في كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي تابعة لغوغل"³⁷ بما يعكس صراعا محموما بين التكنولوجيا والسياسة، صراع تطويع؛ أيهما تكون في خدمة الثانية. ومن ثم، يبدو فوكوياما محقا في مراجعاته، فلا نهاية للتاريخ في غياب نهاية للعلم! أما الإنسان الباحث عن الاعتراف فالمدونة الكبرى للمعلومات "تحلم بتحبيد المواطن لكي لا تحتفظ سوى

³²- لوينشتاين أليوني، رأسمالية الكوارث: طيف تجني الحكومات والشركات العالمية من وبات الحروب ومصائب البشرية، ترجمة: أحمد عبد الحميد، سلسلة عالم المعرفة، عدد: 478، المجلس الوطني للفنون والآداب، الكويت، 2019، ص 49.

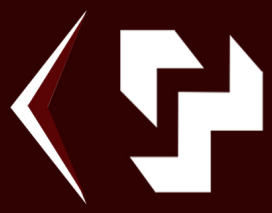
³³ - TROTHA Trutz von, « Mondialisation violente, violence mondialisée et marché de la violence : Jalons d'une sociologie criminologique de la guerre », Déviance et Société, n°3, Vol :29, 2005.(pp : 285- 298), p :293.

³⁴ - DELCOURT Laurent, « Retour de l'Etat. Pour quelles politiques sociales ? », In Retour de l'Etat. Pour quelles politiques sociales ? : points de vue du sud (coordinateur :DELCOURT Laurent), Collection: Alternatives Sud, Vol.XVI , Ed : CETRI, Syllepse, 2009, p:7.

³⁵- دوغان مارك، المرجع السابق، ص: 39.

³⁶- المرجع نفسه، ص: 35.

³⁷- المرجع نفسه، ص: 35، (توضيح من المترجم).



بالمستهلك المنتج للمعلومات"³⁸. هذه المعلومات التي مكنت مالكي الرقمية اليوم من التوفر على أغنى المناجم في العالم؛ مناجم المعلومة، التي تفرز حكام العالم الجدد، الطامحين لتحويل الدولة بمفهومها التقليدي إلى الدولة-الشركة-État-entreprise، حيث "باسم النجاعة، يتبنى السياسي تقنيات سلطة الشركة وتقنيات إدارتها les techniques de pouvoir de l'entreprise et du management"³⁹. فمن هم إذن مالكو هذه القوة الكاسحة؟

يعزز استقرار قائمة الشركات العالمية في مجال الرقمية طبيعة الاستقطاب الصيني الأمريكي الحالية والتوجس المتبادل بين القوتين الرقميتين، لأنه يجب ألا نغفل ارتباط العالم الرقمي بعالم الاستخبارات منذ نشأته الأولى، وبالتالي ارتباطه بسن السياسات في البلدان المختلفة وعلى رأسها السياسة الخارجية لكل بلد التي سيخترقها مفهوم الصفقات في تدبير الملفات. وهو المفهوم الذي ازدهر مع إدارة الرئيس ترامب في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال "تبنيه استراتيجية التصعيد من أجل الحوار والتي تتضمن إطلاق تهديدات وتصعيد الخطاب ضد الرؤساء والمسؤولين السياسيين بالطرف الآخر، ثم فرض عقوبات اقتصادية صارمة على هذه الدول ما سيدفع قادتهم إلى اللجوء إلى التفاوض"⁴⁰، ولا يهم إن كان موضوع التفاوض من القضايا التي سبق وحسم فيها مع الإدارات الأمريكية السابقة أو لا، فالكل قابل لإعادة التفاوض طالما أن الصفقة يمكن أن تكون مدرة لربح أكبر.

³⁸- المرجع نفسه، ص: 95.

³⁹ - PIERRE MUSSO, « LA POLITIQUE DEPOLITISEE : L'ère de l'État-entreprise ».

<https://www.monde-diplomatique.fr/2019/05/MUSSO/59844>.

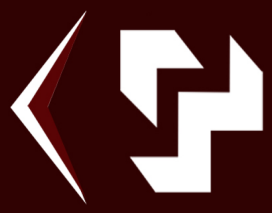
⁴⁰- عمرو عبد العاطي، "مركزات عقيدة ترامب للسياسة الخارجية الأمريكية"، السياسة الدولية، عدد 217، يوليو 2019، ص 158.

بناء على ما سبق، وفي ظل حالة اللايقين التي ولدها لحظة الحمة التاجية والواقع غير المسبوق من الانعزالية التي جعلت المجتمع الدولي يعيشه، وفي ظل إقرار الأمين العام للأمم المتحدة بكونها "ليست حالة من حالات الطوارئ في مجال الصحة العامة فحسب، بل هي أكثر من ذلك بكثير. إنها أزمة اقتصادية، وأزمة اجتماعية، وأزمة إنسانية أخذت تتحول بسرعة إلى أزمة لحقوق الإنسان"⁴¹، لا يمكن التغاضي عن تأثير هذه الجائحة على نسق العلاقات الدولية بفعل الديناميات المحتمل توليدها على المستويات الوطنية وامتداد تداعياتها على المستوى الدولي في ضوء التوقعات بكساد اقتصادي غير مسبوق والمخاطر الاجتماعية والسياسية التي يمكن أن يولدها. لكن السؤال العصي عن الجواب يرتبط بمدى تأثير هذه العوامل على بنية النظام الدولي القائم وقيمه ومدى قدرته على البقاء والتكيف والحفاظ على القرن الحادي والعشرين قرنا أمريكيا، لاقتزان لحظة الجائحة بمجموعة إجراءات مست عمق المنظومة القيمية لهذا النظام والتي بنيت على أسس الليبرالية الجديدة كما سكتها مدرسة شيكاغو، وصلها تذيب المنظومة المفاهيمية المرتبطة بالدولة من سيادة وحدود وغيرها، وتكريس للمركزية الغربية، واستعاضة عن المستويات الوطنية بالمستوى عبر الوطني وفوق الوطني، وانتصار لمنظومة حقوق الإنسان في كل البقاع ولقدرة السوق على تنظيم المجتمع.

ومن المؤكد أن هذه الملاحظات تدفع بنا نحو فرضية التحول التي يعرفها النظام الدولي، وهي لحظة مستعادة عاشها مع "أزمة" 2001 فراجع سيرورة تطوره من خلال إعادة النظر في إقالة الدولة، واستطاع عبرها أن يجدد دمه ويترسخ بفضل ابتداء الحرب على الإرهاب التي عبرها تم تثبيت القوة العالمية من خلال السيطرة على آبار النفط واحتياطات الغاز و"الأمن المؤدى عنه" في العديد من المناطق. كما أنه عاشها مع أزمة 2008 ليعيد نفس المراجعة ويسمح بالاستعانة بالدولة الكينية، وبتسيخ دور المؤسسات المالية العالمية في الرقابة على السياسات الاقتصادية للدول المختلفة. وهاهو من جديد، في 2020، يواجه أزمة من نوع خاص، أزمة صحية لكنها ارتبطت بتحول بعيد عن مجال الصحة، التحول الرقمي القسري الذي فرضته والذي سيتيح الاستثنائ بمناجم المعلومة.

وإذا أخذنا في عين الاعتبار أن الولايات المتحدة الأمريكية تنحو في السنوات الأخيرة مني التخلي عن أعباء القيادة العالمية، وتحميل أطراف أخرى كلفة استمرار النظام الدولي من خلال تدبير أمن مناطق واستقرار نظم بما يشبه تحول القوة المهيمنة لوسيط تجاري لإدارة الأعمال الدولية، أمكن القول أنه، باستعارتها لمفهوم الصفقة من عالم التجارة واحتكامها على مناجم المعلومة، توقع الدول على تموضعها على سلم القوة الدولي. وهذا ما يؤشر بقوة على مراجعات في النظام الحالي لا ترقى إلى مستوى استبداله بأخر جديد، ما دامت لا تحدث قطائع بقدر ما تضح دماء جديدة محورها مزيد من الدولة ولكن بصيغة جديدة، وعودة لبراديفم المصلحة بدل التعاون، ومراجعة موقع منظمة الأمم المتحدة وأدوارها من خلال الانسحاب من بعض أجهزتها، وتهميش الآخر، وعمل دؤوب من أجل استمرار النظام باستثمار أهم عناصر القوة في القرن الحادي والعشرين وهي القوة الرقمية.

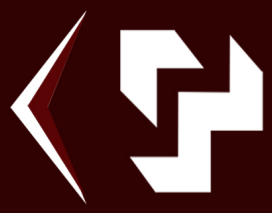
⁴¹ <https://www.un.org/ar/authors/antonio-guterres-ar>



قائمة المراجع

مراجع باللغة العربية:

- تاندون ياش، التجارة حرب: حرب الغرب ضد العالم، ترجمة عبد الجليل محمد مصطفى، ط1، العبيكان، الرياض، 2016.
- دوغان مارك ولاي كريستوف، الإنسان العاري: الديكتاتورية الخفية للرقمية، ترجمة: سعيد بنكراد، ط1، المركز الثقافي للكتاب، بيروت، لبنان، 2020.
- رضا عبد السلام، انهيار العولمة! هل حقا يعيد التاريخ نفسه وتنهال العولمة المعاصرة كما انهارت في موجتها الأولى بالكساد العظيم؟ الدار الجامعية، الإسكندرية 2003.
- زلوم يحيى عبد الحي، نذر العولمة، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 1999.
- صلاح سالم، الإسلام والغرب: بين عقدة الحضارة.. ونزاعات الهيمنة، ط1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2004.
- فوكوياما فرانسيس، نهاية الإنسان وعواقب الثورة البيوتكنولوجية، ترجمة أحمد مستجير، ط1، إصدارات سطور، القاهرة، 2002.
- نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة حسين أحمد أمين، ط1، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، 1993.
- كندي بول، القوى العظمى، التغيرات الاقتصادية والصراع العسكري من 1500 إلى 2000، ترجمة عبد الوهاب علوب، ط1، دار سعاد الصباح، الصفاة، الكويت، مصر، 1993.
- كيسنجر هينري، النظام العالمي، تأملات حول طلائع الأمم ومسار التاريخ، ترجمة فاضل جتكر، دار الكتاب العربي، لبنان، 2015.
- لوينشتاين أليونى، رأسمالية الكوارث: طيف تجني الحكومات والشركات العالمية من ويلات الحروب ومصائب البشرية، ترجمة أحمد عبد الحميد، سلسلة عالم المعرفة، عدد: 478، المجلس الوطني للفنون والآداب، الكويت، 2019.
- نيسبت ريتشارد إي، جغرافية الفكر: كيف يفكر الغربيون والآسيويون على نحو مختلف...ولماذا؟ ترجمة شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 312، 2005.
- هنتغتون صمويل، صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي، ط2، ترجمة طلعت الشايب، سطور للتوزيع والنشر، القاهرة، 1999.
- وي وي تشانغ، الزلزال الصيني: نهضة دولة متحضرة، ترجمة محمود مكاوي وماجد شبانة، مراجعة: أحمد السعيد، سما للنشر والتوزيع، 2016.



– عمرو عبد العاطي، "مرتكزات عقيدة ترامب للسياسة الخارجية الأمريكية"، السياسة الدولية، عدد 217، يوليو 2019.

– علوي مصطفى، "القرن الأسيوي؟ مستقبل هيكل القوة في النظام الدولي في القرن 21"، السياسة الدولية، عدد: 200، أبريل 2015.

– ميرشايمر، هل يمكن للصين أن تصعد سلميا؟ محاضرة مسجلة على الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=Dk-34WkUJ5w>

مراجع بلغة أجنبية:

– TROTHA Trutz von, «Mondialisation violente, violence mondialisée et marché de la violence : Jalons d'une sociologie criminologique de la guerre », Déviance et Société, n°3, Vol :29, 2005.

– DELCOURT Laurent, « Retour de l'Etat. Pour quelles politiques sociales ? », In Retour de l'Etat. Pour quelles politiques sociales? : points de vue du sud (coordinateur: DELCOURT Laurent), Collection: Alternatives Sud, Vol.XVI , Ed : CETRI, Syllepse, 2009.

– BUZAN Barry, «New Patterns of Global Security in the Twenty-First Century», International Affairs, Vol : 67, N° : 3, Juillet 1991.